

الفصل الرابع

القيم في فلسفة التربية الواقعية الجديدة

ويتضمن هذا الفصل ما يلي :

- ♦ تعريف الواقعية.
- ♦ نشأتها وتطورها .
- ♦ رواد الواقعية الجديدة .
- ♦ الأسس الفلسفية للواقعية .
- ♦ الخصائص العامة للفكر الواقعي .
- ♦ الاتهامات التي وجهت للواقعية.
- الواقعية والتربية:
- ♦ التربية الواقعية والقيم.
- ♦ التربية الواقعية والأهداف.
- ♦ خاتمة .

الفصل الرابع

القيم فى فلسفة التربية الواقعية الجديدة

أوضحت الدراسة فى الفصل السابق كيف أن القيم عند أتباع المثالية تحتل مكان الصدارة ولها الأولوية المطلقة ، كما أنها سابقة على الوجود الواقعي ، كما أنها مفارقة لهذا الوجود فهي مستقرة فى عالم المثل .. أى أنها مستقلة عن هذا الوجود المادي ، كما أنها محددة منذ الأزل ومصدر تحديد ما .. إلهى أو عقلى ، ومن ثم فهي تتسم (بالخلود ، والاستمرار ، والثبات ، والإطلاق) وظل الأمر كذلك منذ أن وضع أفلاطون مثلثه القيمي المعروف (الحق - الخير - الجمال) حتى ظهرت الواقعية ، ويمكن القول بأن الواقعية تكاد تكون على النقيض من المثالية ، فقد رأى الواقعيون جميعاً أن القيم يستدل عليها عن طريق التجربة والحس ، ذلك لأنها نابعة من الواقع المحسوس ، ومن ثم فهي فردية نسبية متغيرة ، وكذلك يمكن قياسها ، كما أنها - القيم - حقائق موضوعية قابلة للملاحظة والتجريب مثل أى ظاهرة طبيعية ، وبناءً على ذلك تعد القيم لدى الفلاسفة الواقعيين فعلاً اجتماعياً يعد حافزاً للإنسان إلى العمل .

ويستهدف هذا الفصل دراسة القيم فى فلسفة التربية الواقعية من خلال المحاور الآتية :

١. تعريف الواقعية .
٢. نشأتها وتطورها .
٣. رواد الواقعية الجديدة .
٤. الأسس الفلسفية للواقعية .
٥. المبادئ العامة للتربية فى الفكر الواقعي .
٦. القيم فى الواقعية الجديدة .
٧. الأهداف فى التربية الواقعية .
٨. خاتمة .

تعريف الواقعية Realism:

١- الواقعية "لغويا" تعنى الواقع الحاصل .. والواقع ما حدث ووجد بالفعل وهى مرادفة للحدث ، كما أن الواقعى يعنى المنسوب للواقع وهو مرادف "للوجودى الحقيقى" مقابل "الوهمى الخيالى". الرجل الواقعى هو الذى يرى الشئى كما هو عليه ، والواقعية بوجه عام تعنى واقعية التفكير، أى مطابقته للواقع (١) كما أنها تعنى تمثيل الأشياء المألوفة كما هي حقاً (٢) .

٢- الواقعية فى "الفلسفة" مذهب يجعل الأعيان الخارجية (٣) لها الأولوية على المدركات الذهنية (٤) . فهو يرى أن الأشياء الخارجية لا تتوقف على إدراك العقل لها فهى موجودة ، سواء وجدت من يدركها أم لم تجد . وقد كانت للواقعية تفريعات كثيرة ومدارس عديدة منها - على سبيل المثال - الواقعية "الساذجة" Realism neif تتصور العالم على نحو ما يرى ويلمس . وواقعية "نقدية" Critical Realism هى لا تقبل العالم كما هو بل تخضعه لعمل ذهنى ، وتوجد الواقعية الترنسندنتائية Transcendental Realism التى قال بها كانط والواقعية بهذا المعنى ترى أن الوجود الحقيقى مقابل للوجود المعقول ، وأنه يتضمن بسبب ذلك جانباً من اللامعقول (٥) .

(١) جميل صليبا : المعجم الفلسفى ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ٥٢٥ .

(٢) Oxford Dictionary .Op.Cit.p.403^(٢) .

(٣) يقصد بالأعيان الخارجية - الأشياء الخارجية - وهذا يعنى ان الفلسفة الواقعية تقوم على اعتبار أن الاشياء مستقلة في وجودها استقلالاً حقيقياً عن الظواهر العقلية ، فالعالم الذى نعيش فيه ونحسه بمختلف وسائل الادراك الحسى مادى حقيقى بغض النظر عن إدراكه العقلى .

(٤) حسين سليمان قوره : الأصول التربوية ، مرجع سابق ، ص ١٣٨ .

(٥) أندريه لالاند : الموسوعة الفلسفية ، مرجع سابق ، ص ١٣٦ .

- The Encyclopedia of Philosophy , Op. Cit.p.77.

- Frankel Benjamin , Roots of Realism ,Frank Cass & co.ltd, U.S.A,1996 Introduction xix.

- A.R.Lacey, A Dictionary of Philosophy, Op.Cit.pp108-109.

وفيما يلي عرض للتطور التاريخي للحركة الواقعية والقيم التربوية المتضمنة فيها :

نشأتها وتطورها :

ترجع البدايات المنظمة للفكر الفلسفي الواقعي إلى أرسطو تلميذ أفلاطون .. وإذا كان أفلاطون ذهب إلى القول بأن الوجود يتكون من حس وفكر .. وأن الصورة والمادة كل لا يتجزأ ، كما أن الحقيقة توجد في عالمنا الواقعي وبذلك كانت كتابات أرسطو أساساً للفلسفات والنزعات التي دارت حولها فكرة الواقعية فيما بعد ^(١)، وفي "العصور الوسطى" سادت النزعات الدينية اللاهوتية ^(٢) والإنسانية ، وكان هذا واضحاً بصفة خاصة في أوروبا وظل هذا الوضع حتى العصر الحديث .. فمع بداية "عصر النهضة الأوروبية" انصرف العقل الأوروبي إلى الاهتمام بالعالم الطبيعي وتوجيه فكره لخدمة الحياة العملية وأصبحت الفلسفة وسيلة للارتقاء بالتجارب الإنسانية وتصحيح نظرة الإنسان العادي للحياة ، وقد وجدت الفكرة الواقعية اهتماماً من "جانب فلاسفة الشرق الإسلامي" وخاصة (الفارابي - ابن سينا - ابن الهيثم - جابر بن حيان) كما أن بدايات المنهج التجريبي الاستقرائي وجدت في الشرق قبل الغرب بمئات السنين ، وقد طوره ليكون فيما بعد (٣) .

وقد ظهرت الواقعية الجديدة في أوروبا في وقت مقارب لظهور البرجماتية كما أنها في الأصل نبتة إنجليزية أطلق عليها إسم مدرسة كيمبردج حيث أن روادها كانوا أساتذة في هذه الجامعة وهي مقابلة للمدرسة المثالية التي سميت بمدرسة أوكسفورد . ويعد جورج مور ١٨٧٣ - ١٩٥٨ أكبر رواد هذه المدرسة ويعتبر مقالة (دحض المثالية في مجلة العقل Mind في عام ١٩٠٣) الصيحة الأولى في تخلق نظرية وفلسفة جديدة كان لها تأثير كبير على الفلسفة المعاصرة وعلى جميع العلوم الطبيعية والرياضية بوجه خاص ، وقد تبلورت هذه المدرسة في إنجلترا عند برتراند رسل ١٨٧٣ - ١٩٧٠ بوجه خاص ^(٤) وبلغت قمة ازدهارها من سنة ١٩٢٠ - ١٩٣٠ بعد أن طورها روادها إلى مذهب الوضعي المنطقي ، بعد أن أطلق عليها اسم الواقعية التحليلية ^(٥) .. إلا أن الواقعية الجديدة لم تعرف في الدوائر المختلفة إلا بعد ظهور البيان التأسيسي الأول لستة من فلاسفة الواقعية وبعد ظهور مجلدتهم الثاني (الواقعية الجديدة دراسات تعاونية في الفلسفة) ، ومع أنه من الممكن تحديد بعض البدايات الواقعية في أمريكا منذ بداية هذا القرن .. إلا أنه يمكن القول أن الواقعية كمبحث منظم تعاوني نحو برنامج مشترك قد بدأت في عام ١٩١٠ .. حيث قدم الواقعيون الجدد برنامجهم الأول وقد أطلقوا على مجموعة مبادئهم هذا الاسم

1. Ozmon:Op.Cit.pp. 39-43 .

2. Ibid :pp. 44-46.

3. Ibid :pp. 46-50.

The Encyclopaedia of philosophy. Op Cit. p.77

^(١) يحيى هويدى : مقدمة في الفلسفة العامة، القاهرة ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩ ،

-Ozmon ,Op.Cit.P.P.50

(5) Baldwin Thomas,My Philosophical Development,Bertrand Russell, British Library,London 1995

"النيورياليزم" ونشروا عام ١٩١٢ كتابا بهذا الاسم The New -Realism يضم أبحاثهم الواقعية .. ومؤلفاء الفلاسفة الستة هم :-

- ١- أ.ب. هولت Edwin Io.Holt "١٨٧٣ - ١٩٤١" أستاذ الفلسفة وزميل بيرى بهار فرد وأكثر الواقعيين اقترابا معه فى أفكاره عن الوعي والمعرفة والخطأ .
- ٢- والترت. مرفن Walter T.Marvin (١٨٧٢ - ١٩٤١) من روتجرز .
- ٣- و . ب بتكن W. P. Pitken (١٨٧٨ - ١٩٥٣) .
- ٤- أ . ح . سبولدنچ (١٨٧٣ - ١٩٤٠) .
- ٥- و . ت مونتاجيو W. P Montogue (١٨٧٣ - ١٩٥٧) .
- ٦- رالف برتون بيرى R. B. Perry (١٨٧٦ - ١٩٥٧) .

إلا أن هناك كتابات واقعية قدمها كل منهم قبل العمل فى مجموعة واحدة ، وخاصة ما قدمه بيرى ومونتاجيو فى مقالات للرد على رويس ١٩٠٠ - الذى يعد من أكبر دعاة المثالية فى أمريكا ، وتبين من نشر هذه المقالات أنها من أوائل الكتابات الواقعية فى هذا القرن ، فهما بذلك يسبقان مقالة مور الشهيرة دحض المثالية التى نشرت ١٩٠٣ فلهذه النقطة أهمية كبرى ، فهى تعد ردا على الكثيرين ممن يرجعون الواقعية الأمريكية للفلسفة الإنجليزية (١)

وقد كانت الواقعية جزءا من جهة فلسفة كبرى تضم اتجاهات متعددة تحاول دحض وتنفيذ آراء المثالية وادعاءاتهم وتصر على أن الأشياء لا تتغير عن طريق معرفتنا لها ، وقد عرفت الواقعية بإصرارها على استقلال الواقع عن مواضع المعرفة الإنسانية ، ولم يقتصر انتشار الواقعية على إنجلترا وأريكا فقط بل وفى الصين أيضا .. فقد وجدت هناك مذاهب واقعية كثيرة وقد اعتمد الواقعيون الصينيون على الواقعية الجديدة فى إنجلترا وأمريكا وخاصة رسل ومونتاجيو الذين ترجم لهما إلى الصينية مشكلات الفلسفة وطرائق المعرفة ، كما وجدت فى فرنسا حيث كانت الواقعية الفرنسية إحياء للواقعية التوماوية التى كانت تشكل إحدى الاتجاهات الواقعية فى أمريكا قبل الواقعية الجديدة ، كما تطورت الواقعية فى البلاد الجرمانية وقد كانت مقابلة للمثالية . وفى إنجلترا كان هناك كل من مور ، ورسل اللذان مثلا حلقة اتصال محكمة بين الواقعية الألمانية لدى "ميتسوج برنتانو" وبين الواقعية الأمريكية "ووايتهيد" أيضا الذى كان قد انتقل إلى أمريكا وقدم تركيبة ميتافيزيقية ذات أساس واقعى

(١) أحمد عبدالحليم عطية :القيم فى الواقعية الجديدة عند رالف بارتون بيرى، مرجع سابق، ص ص ٦٧-٧١

كما أيد وليم جيمس الواقعية واستمر تطورها على يد طلابه (١) .. وبذلك يمكن القول بأن فلسفة الأمريكية كانت مهيناً لظهور الواقعية الجديدة ويتضح ذلك من خلال الاتجاهات العديدة المتناثرة في البيئة الأمريكية التي تمثل الأساس التاريخي الذي بنيت عليه الواقعية الجديدة (٢) ، يستطيع المؤرخ الراصد للفكر الأمريكي أن يرى داخل الواقعية اتجاهات متنوعة ، وبالإضافة للواقعية الجديدة التي تحدثنا عنها وعلى رأسهم بيرى ، نجد فلسفة الواقعية النقدية Critical Realism التي قامت كرد فعل ونقد للمجموعة الأولى ، ويعد جورج سانتيانا أشهرهم ، وهناك أيضاً كثير من الواقعيين الذين لم ينضموا إلى أى من المجموعتين السابقتين (الواقعية الجديدة- الواقعية النقدية) ويطلق عليهم مونتاجيو اسم الواقعيون الهواة أو (المستقلون) الذين قدموا فلسفة واقعية بطرق مختلفة وبدرجات متفاوتة ومنهم ود بيردج الذي أمد الواقعية بأفكار هامة عن واقعية الوعي كما أنه أفسح الطريق أمام الواقعيين بنشر آرائهم في مبلتسه ومنهم أيضاً ماكجغارى ، وسكوانس بودان ، ولونبرج من جامعة كاليفورنيا وكوهن من كلية مدينة نيويورك وغيرهم ممن ذكرهم مونتاجيو في كتابه "اعترافات مناد بالمادية الحيوية" (٣) .

"رواد الفلسفة الواقعية الجديدة " :

لقد تبلورت معالم الواقعية الجديدة في إنجلترا وأمريكا وسوف نتناول بالدراسة توضيح أشهر ممثلي هذه الحركة في كلا البلدين .

أولاً: رواد الواقعية الجديدة في إنجلترا

صمويل ألكسندر Samuel Alexander ١٨٥٩ - ١٩٣٨ :

ولد صمويل ألكسندر في السادس من يناير ١٨٥٩ بمدينة سيدنى بمقاطعة جنوب ويلز الجديدة باستراليا ، تلقى دراسته الجامعية في أوكسفورد بإنجلترا ، كانت قراءاته موزعة بين اللغات القديمة والفلسفة والرياضيات ، وحصل عام ١٨٨٨ على جائزة "جرين" في الفلسفة الخلقية وذلك عن كتابه "النظام الخلقى والتطور" ويبدو أثر دارون في تفكير ألكسندر فهو يعرف الخير بأنه التقدم والشر هو الحركة إلى الوراء ، كما أنه يربط بين الأفعال الأخلاقية والظواهر الكونية في تطورها ، كما ربط الأخلاق بالمجتمع ، وكاد هذا الاتجاه يلزمه طوال حياته .. إلا أن ألكسندر سرعان ما تخطى عن ربط الأخلاق بالكون والحياة ، أصبح ينظر للأفعال الأخلاقية على أنها قيم ، وأهم ما يميزها أنها إنسانية صرفة .. أى أنها تقتصر على العالم الإنساني، لا وجود لها في عالمي المادة والحياة .. أما المرحلة

(١) O:mon , Op.Cit.P.50

(٢) أحمد عبد الحليم عطية : مرجع سابق ص ص ٦٩-٧٠

(٣) Munitz Milton k. ,Contemporary Analytic Bhilosophy,Macmillan Publishing Co. Inc , London,1981 , PP.76,123,230,349

الثانية من مراحل تطور فكر ألكسندر الفلسفي فقد تشعبت قراءاته الفلسفية ، فقد اهتم بدراسة علم النفس التجريبي مما اضطره للسفر إلى ألمانيا ، ثم عاد بعد عام واحد إلى أوكسفورد .
وأهم كتب ألكسندر :

- ١- كتاب النظام الخلقى والتطور .
- ٢- كتاب عن لوك .
- ٣- كتاب المكان والزمان والألوهية
- ٤- الكتاب الصغير "اسبينوزا والزمان" .
- ٥- كتاب الجمال وأشكال أخرى للقيمة .. وهو من أهم الكتب في فلسفة الجمال ، كما نشر ألكسندر العديد من المقالات في المجالات الفلسفية التي تقوم علي أساس ربط الاخلاق بالكون والحياة.

مصادر فلسفته :

المصدر الأول نظرية التطور إلا أنه سرعان ما تخلي عن هذه الفكرة ونظر إلى الأفعال الأخلاقية علي أنها قيم ، وأهم ما يميزها أنها إنسانية خالصة تقتصر علي العالم الإنساني لا وجود لها في عالم المادة والحياة

المصدر الثاني حركة الواقعية الجديدة التي ظهرت في إنجلترا وأمريكا

المصدر الثالث اسبينوزا

المصدر الرابع نظرية النسبية

"القيم" : في فلسفة الكسندر .

بالإضافة إلى الصفحات التي تناول فيها عالم القيم في كتابه الرئيسي " الزمان والمكان والألوهية " وبالإضافة إلى مقالاته العديدة ألف كتاباً خاصاً عن موضوع القيم بعنوان " الجمال وأشكال أخرى للقيمة Other Forms of Value " وقد أوضح فيه ألكسندر أن القيم توجد في العالم الإنساني وحده ولكن هذا لا يعنى أن الإنسان خالق القيم على نحو ما قال به الوجوديون أمثال " سارتر وتلميذه بولان " فالقيم الجمالية والأخلاقية تحمل التغيرات الذاتية للإنسان ولكنها مستقلة تخضع لضوابط موضوعية ، ومن ثم فهي ليست متروكة للحريية الإنسانية ، كما أرجع ألكسندر ضوابط القيم إلى الميول الطبيعية أو الغريزية المغروسة في الإنسان من الميل إلى الاجتماع والبناء والتشييد واعتبر ذلك أساساً لدراسته للحق أو القيمة الحقيقية ، كما اعتبر ألكسندر مثال الحق مستمداً من الواقع حيث أن الواقع هو معيار الحقيقة كما جعل مثال الخير أو القيمة الخلقية مرتبطة بالواقع الاجتماعي ملتزمة بالنماذج الأخلاقية التي تظهر في حياة المجتمعات (١)

أنظر:

(١) يحيى هويدى : دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، مرجع سابق، ص ص ١٥٢-١٩٢ . نقلا عن
-Alexander Space Time and Dity, Vol. 2, P. 303 .

ألفريد نورث وايتهد Alfred North Whitehead ١٨٦١ - ١٩٤٧ :

يعد وايتهد من أبرز فلاسفة النصف الأول من القرن العشرين فهو ينتمي إلى مجموعة الواقعيين الإنجليز مثل رسل وأتم دراسته في جامعة كمبردج وتخصص في الرياضيات ، وقد تميز بعقل متسع الآفاق بدرجة فائقة ، فهو رياضي متميز ، وأحد مؤسسي علم المنطق الرياضي الحديث كما أنه درس العلوم الطبيعية والتاريخ ، كما تعددت وتشعبت أعماله فهو يمثل بأعماله نموذج الفيلسوف في جهره بكل ما تعنيه الكلمة .

ويمكن أن نميز ثلاثة مراحل في تطور "وايتهد" .. حيث أن كل مرحلة تتميز بكتابات علمية متميزة ، المرحلة الأولى ألف عددًا من الكتب في المنطق الرياضي ١٨٩٨ وتوجت بالمؤلف الضخم الذي شاركه في تأليفه "برتراند رسل" : مبادئ الرياضيات (برنكييا ماتماتيكا) الذي صدر عامي ١٩١١ ، ١٩١٣ ، المرحلة الثانية اهتم بعلم الطبيعة ونشر العديد من المؤلفات الهامة في فلسفة علم الطبيعة ، المرحلة الثالثة اهتم بدراسة الميتافيزيقى وألف كتابيه في هذا المجال " العلم والعالم الحديث ، "الضرورة والواقع" ، ويعد هذا الكتاب بأنه الكتاب الرئيسي. حيث أنه عرض فيه نظاما فلسفيا متكاملًا .

ويعد إنتاج وايتهد. أكمل وضعاً فلسفياً لنتائج العلم الطبيعي ظهر حتى منتصف القرن العشرين الميلادي ، كما أنه في نفس الوقت تأثر بأفلاطون وأرسطو واسينوزا وكانط وبرجسون . ومع ذلك لا يعد مفكرًا انتقائياً حيث أن نظامه الفلسفي يتميز بوحدة الداخلية ، وقد طبق وايتهد فكريته الأساسيتين الأصليتين : فكرة الخلق وفكرة الإدراك وبذلك يكون فيلسوفاً حديثاً ، بل من أشد فلاسفة القرن العشرين حيث أنه لم يعلم الطبيعة والرياضيات والبيولوجي من جهة ، كما أنه من جهة أخرى وضع تأملاته الميتافيزيقية على مستوى الخلود متخطياً حدود الزمان الذي يعيش فيه وهو نفس ما فعله أفلاطون . وقد تحدث وايتهد في العديد من الموضوعات منها نظرية المعرفة والميتافيزيقا ، والإله . ويرى وايتهد في حديثه عن الميتافيزيقا أن الإله هو الذي يحدد ما ينبغي أن يظهر في الوجود بأن يضع الحدود وبهذا يجعل التحديد ممكناً " إن الحدث" هو الفرد الواقعي الفعلي كما أنه قيمة ، وهذا يعني أن كل ما هو محدد واقعي فهو قيمة ، وبذلك جعل معيار القيمة هو الوجود الفعلي للحدث **Superject** .

كما وضع وايتهد نظرية كاملة في الإلهيات، وقد أقامها على أساس التمييز بين جانبي للإله (طبيعته الأولانية **Primordial** وطبيعته الناتجة **Consequent** . من حيث طبيعته الأولانية فإن الإله ثابت وخارج الزمان كما أن وجوده الفعلي لانهائي كامل ، كما أنه ابدى ووفقاً لوجهة النظر هذا فإن الإله ليس إلا صفة للدفعه الأخلاقية ، والخلق وحدة هو الذي يدفع إلى الحياة من حيث طبيعته الناتجة

عن الإدراك الواعي المقصود ، كما ان حضوره حضور كلي ، فالعالم المثالي ما هو الا وصف له . وعلى سائر المفردات والسمات المخصصة في العالم يجب أن تتناسق فيما بينها وأن تتكاتف مع بعضها البعض في اطار الرؤية الإلهية اللانهائية ولكن الإله محدد من حيث طبيعته الناتجة وهو في صيرورة ، ويثري في غير توقف من اجل ادراك عناصر جديدة ، ويرى وابتهايد أن الإله كامن في العالم ومتعال عليه في نفس الوقت فهو كامن فيه بقدر حضوره في كل الموجودات ، كما أنه متعال عليه بقدر تعالي كل حدث على حدث آخر ، وقد جمع وابتهايد في هذا الصدد بين التناقضات ، حيث أنه استخدم لغة مختلفة عن لغة المعتادة في معظم اعماله (هي لغة التصوف الأفلاطوني المحدث) وقد فسر وابتهايد " الشر " منظره را إليه في ذاته ، على أنه شئ إيجابي ولكنه يؤدي إلى الفوضى والتدنى في العالم ، وبما أن الإله هو مبدأ التكامل والانسجام ، مبدأ القيمة والسلام . فلا يمكن أن يكون مصدر الشر ، فالإله خير بالمعنى الأخلاقي كما أنه سبب التقدم النوعي في العالم ، كما أنه القائم على تقييم العالم وأنه في صراع مع الشر ، كما أنه رفيق المعذبين والذين يناصرونه (١) .

ثانيا : رواد الواقعية الجديدة في أمريكا

تنقسم الواقعية الجديدة في الولايات المتحدة الأمريكية إلى مجموعتين: المجموعة الأولى وتضم ستة من الفلاسفة يعدون من ممثلي هذا التيار في أمريكا وعلى رأسهم " رالف برتن بيرى " (٢) . والمجموعة الثانية " الواقعية النقدية " وعلى رأسهم جورج سانتيا نا، ونظر الأهمية كل منهما فسوف نتعرض لهما الدراسة بشئ من التفصيل (٣) .

(١) إ . م. بوشنكي : الفلسفة المعاصرة في أوروبا ترجمة عزت قرني ، مرجع سابق ، ص ٣٥٧ - ٣٦٩ .

(٢) The Encyclopedia of Philosophy , Op. Cit.p.77.

(٣) Ibid .p. 81

يعد بيرى أشهر وأبرز فلاسفة الجيل الثاني في الفلسفة الأمريكية ولد بيرى في ٣ يوليو ١٨٧٦ في بولنمي برفرومنت بنيو انجلند ، التحق بجامعة برنستون ، ثم التحق بعد ذلك بجامعة هارفارد ، وكان لالتحاقه بهارفارد أثر عميق في حياته وفلسفته ، فقد كان في البداية أثناء وجوده في برنستون ، تتجهاً لدراسة اللاهوت ثم بعد ذلك وأثناء التحاقه بهارفارد تحول اتجاهه إلى الفلسفة ، كما كان هذا الانتقال رحلة روحية خطيرة وتحولاً واضحاً بالنسبة له ^(١) ، حصل بيرى على الماجستير ١٨٩٧ والدكتوراه ١٨٩٩ من جامعة هارفارد وظل يدرس فيها منذ ١٩٠٢ حتى ١٩٤٦ ، وقد كان شغل بيرى الشاغل منذ بداية حياته هو الرد على المثالية. وحيث أنه في عام ١٩٠١ كتب مقالته الشهيرة "دحض الأستاذ ريس للواقعية والتعددية Pro Royce's Refutation Of Realism and Pluralism وذلك بمجلة ذي مونست The Monist ، كما شارك مع زملائه بعدة مقالات أطلقوا عليها اسم البرنامج التأسيسي الأول لستة من فلاسفة الواقعية الجديدة Program and First Platform of Six Realists .. ويعد مقال بيرى "مأزق التمرکز حول الذات The Ego Centric Predicament " بداية معركته مع المثالية ، ثم بعد نشر هذا المقال بعامين أصدرت المجموعة مجلدها الثاني "الواقعية الجديدة دراسات تعاونية في الفلسفة " و قد ساهم بيرى بمقالة عن "النظرية الواقعية في الاستقلال Realism Theory of Independence ويعد هذا المجلد بداية معرفة الواقعيين الجدد في الدوائر الفلسفية^(٢).

ولكن رغم بروز دور بيرى وتفوقه على زملائه في مجال الوعي ونظرية المعرفة إلا أن إسهاماته الحقيقية لا تبدو في دراساته وأبحاثه الواقعية الجديدة ودحض المثالية بل كانت أكثر وضوحاً في مجال الأخلاق والفلسفة الاجتماعية والنظرية العامة في القيمة ، كما أن إسهامات بيرى في القيم أعادلت للإسهامات مور Moore ورسل Russll في الأخلاق بل تفوقها .. حيث أن تلك الدراسات أعادت للقيم مكانها في البحث والدراسة ، كما أن تلك الإسهامات جعلت بيرى في أمريكا فيلسوفاً نداءً لماكس شيلر ، وهارتمان في ألمانيا ، ولايتن ولوسين في فرنسا .

ويمكن القول بأن جهد بيرى في تأسيس الواقعية الجديدة يتمثل في جانبين :

الأول : هو نقد الاتجاهات الفلسفية المختلفة الموجودة على مسرح الفكر الأمريكي في عصره (مثالية .. برجمانية .. وضعية) .

والثاني : وهو الموقف الإيجابي الذي يتمثل فيما قدمه من نظريات واقعية متعددة في تحليل العقل والعملية المعرفية واستقلال موضوعات المعرفة عن العقل المدرك ^(٣) .

^(١) أحمد عبد الحليم عطية : القيم في الواقعية الجديدة عند رالف برتن بيرى ، مرجع سابق ، ص ١٨ ، ١٩ .

^(٢) المرجع السابق ، ص ٦ .

^(٣) المرجع السابق ، ص ٢٥ .

القيم عند بيرى :

البحث فى القيم عند بيرى كما ظهر فى النظرية العامة للقيمة وأفاق القيمة يرادف فلسفة الحضارة كما يبدو وكأنه بحث فى فلسفة الدين حيث أنه يتطابق مع الخير الأقصى وفكرة الألوهية ، وقد حاول بيرى وضع مفهوم معاصر للقيمة يختلف عن الآراء السابقة عليه وهذا المفهوم يتمثل فى الإجابة عن سؤال لم يطرحه أحد من مفكرى وفلاسفة الأخلاق ويدور هذا السؤال حول معنى القيمة بمفهومها الشامل الذى يمكن أن ينطبق على القيمة الاقتصادية والأخلاقية والجمالية والدينية والعلمية مما دفع بيرى لدراسة مختلف الآراء فى فهم الأخلاق ابتداءً من الفهم الميتافيزيقى عن أفلاطون ، وأرسطو ، وأفلاطونين ، وتوماس الأكويني ، ومن ورائهم الرواقية ثم بعد ذلك الفهم الاستمولوجى فى المثالية الحديثة لدى أمانط وأتباعه فيشته ، وفندلبلاندحتى وصل إلى الآراء لأخلاقية محاو لاّ إيضاح فهمه الخاص للقيمة (١) .

ويرى بيرى أننا نستطيع أن نعرف ميدان تخصص أى إنسان من الكلمات التى يستعملها بذهنة ، فالفيلسوف المعنى بنظرية القيمة يتميز بأن أكثر الكلمات التى تسيطر على اهتمامه شيوعاً فى مذهبه هى كلمة قيمة كما أنه يستعملها بدقة أكثر من غيره الذين يستعملونها . بزافاً وقد استطاع بيرى أن يضع تعريفاً للقيم هو " أن الشيء له قيمة أو يعتبر قيماً فى المعنى الأعلى الجوهرى الجامع عندما يكون موضع اهتمام أو نفع فهو من ثم قيمة بذاته فالقيم عنده تقاس بمدى جدواها وقدرتها على تحقيق نتائجه أى المتوقع من ورائه (٢) .

وبذلك يمكن القول بأن بيرى فرض تصوراً للقيمة مؤسساً على المصلحة وهو يعنى بالمصلحة الاتجاه نحو موضوع أو ضده أى رغبة فيه أو عنه .. إذا القيمة موضوع أى مصلحة من المصالح (٣) ، وإذا كانت بعض القيم أقوى من غيرها فمرجع ذلك إلى قوة المصالح عن بعضها ، كما تتعدد القيم بتعدد المصالح ، كما يمكن تصنيفها إلى قيم موروثية أو مكتسبة .. موجبة أو سالبة .. عوانية أو خاضعة .. ذاتية أو موضوعية (٤) .

(١) المرجع سابق ، ص ٦ .

أنظر:

(٢) عادل العوا ، العمدة فى القيم ، مرجع سابق ، ص ١٧٥ - ١٨٠ .

- رالف برتن بيرى ، أفاق القيمة ، ترجمة عبدالمحسن عاطف سلام ، مرجع سابق ، ص ١٣ - ١٦ .

(٣) Perry . R. General Theory of Value, Op . Cit , P.115.

(٤) Ibid , P.P 242 - 269.

نقلا عن - احمد عبد الحليم عطيه : مرجع سابق ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

كما أن بيرى اهتم بدراسة علم النفس، فقد اتخذ اتجاهاً سلوكياً لذلك خصص فصلاً تناول فيه المصلحة من الوجهة البيولوجية ، و فصلاً آخر تناول فيه المصلحة من الوجهة السيكلوجية ، كما حاول بيرى إيجاد أسس مشتركة للفعل المتوافق ، فالمجتمع ما هو إلا مجموعة من البشر توجد بينهم علاقات اجتماعية متفاعلة .. أى يؤثر كل منهم فى الآخر وبالتالي تتكامل المصالح من خلال الأهداف المشتركة ويحقق هذا التكامل على أساس التعاون الخيرى ، لذلك يرى بيرى أن "الخير الخلقى" هو السعادة المتوافقة ، كما أن السعادة المتوافقة حالة من المصالح الموجهة المتوافقة ^(١) وهكذا ينتقل بيرى من النزعة الطبيعية أى من الموقف البيولوجى إلى السيكلوجى إلى الاجتماعى ، بل تجاوز الموقف الاجتماعى بمعناه العلمى الضيق إلى القول بإرادة خيرة كلية وتشمل الأفراد جميعاً لتحقيق الذرافق الشامل^(٢) ، وهذا ما سبقت الإشارة إليه حول عمومية نظرية القيم فى الفكر المعاصر.

يتضح مما سبق أن قيمة الشئ تتمثل فى علاقته. بمجرد معين ، ومعيار التقييم لتلك القيمة هو قدرة الشئ على تنشيط سلوك الفرد على نحو ما أو قد تكون قيمة سالبة أو موجبة ويتوقف ذلك على قدرة الشئ على الجذب فهى إيجابية إذا كانت لديها القدرة على الجذب وتكون سالبة إذا كانت منازرة^(٣)

"جورج سانتيانا GEORGE SANTAYAN ١٨٦٣ - ١٩٥٢ " :

حياته : ولد سانتيانا فى مدريد عام ١٨٦٣ ثم ارتحل إلى أمريكا عام ١٨٧٢ وأقام فيها حتى عام ١٩١٢ ، تخرج سانتيانا فى جامعة هارفارد وعمل أستاذاً بها لفترة طويلة ، ولما كان سانتيانا شاعراً أولاً وفيلسوفاً ثانياً فقد ضاق ذرعاً بالحياة المادية فى أمريكا ، لذلك رحل عنها إلى كامبردج و هارفارد فراحاً من تلك الحياة .

" مؤلفاته : كتب مقالة "فى حاسة الجمال " ١٨٦٦ وتعد أول ما كتبه فى الفلسفة ، ثم أخرج بعد خمس سنوات من تلك المقالات كتاب "حياة العقل" ويتكون من خمس مجلدات هى :- العقل فى الإدراك المليم - العقل فى الجماعة - العقل فى الدين - العقل فى الفن - العقل فى العلم ، وقد اكتسب هذا المؤلف منزلة رفيعة بين المشتغلين بالفلسفة ، كما يعد أيضاً سبب شهرته بينهم . ويقال أيضاً أنه لم يقدر للفلسفة أن تصاغ بهذا المستوى من الدقة والجودة منذ أفلاطون مثلما حدث لها على يد سانتيانا ^(٤) .

(١)Ibic , PP 460 - 519.

(٢) صلاح قنصوه : نظرية القيم فى الفكر المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٦٩ .

(٣) زكى نجيب محمود : حياة الفكر فى العالم الجديد ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، (د.ت) ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٤) زكى نجيب محمود : أحمد أمين ، قصة الفلسفة الحديثة ، النهضة المصرية ، القاهرة ، ج١ ، ١٩٨٣ ، ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

- Sch lpp Baularthur , The Philosophy of George Santayang , Tudor Publishing Co. NY. 1950 pp.33-61

"القيم عند سانتينا : "

اعتبر سانتينا أن فلسفة الجمال هي نظرية في القيم بل إن الكثير من الباحثين ذهب إلى لقول بأبعد من ذلك .. حيث أن هؤلاء الباحثين وحدوا بين الجمال والحق ، وأنه تعبير عن المثل الأعلى وهو رمز الكمال الإلهي أو المظهر الحسي للخير .. إلا أن هذه الأفكار لم تقدم إيضاحاً صريحاً واقعياً عند القيمة، فالقيمة تفترض توفر الوعي الإنساني المرتبط بالإرادة ، فالملاحظة وحدها لا تكفي فلا بد من وجود التذوق معها ، كما أن القيمة والتقدير متلازمان فالخير لا يوجد بدون تفضيلنا له على عدسه أو نقيضه وما يجب الانتباه إليه أن التفضيل ليس راجعاً للعقل بل يرجع للأثر المباشر الذي يحدثه العمل في نفوسنا دون النظر للظروف المحيطة به ، كما أن الصدق في الفن ما هو إلا استجابة لرغبتنا في النسبية وفي إثارة حواسنا وخيالنا ومعيار الصدق الفني هو مدى خدمته وتحقيقه لتلك الغايات ، ويرى أنه من الواجب رد جميع القيم إلى التذوق المباشر أو النشاط الحيوي الحسي دون اعتراض من المفكرين على ذلك ، وهذا يعني أن الجمال صفة إيجابية نابعة من طبيعة الشيء ذاته وقد اضفت عليها وجوداً موضوعياً فهو لذة نعتبرها صفة في الشيء ذاته ، كما أن الجمال قيمة .. أي أنه ليس إدراكاً لحقيقة واقعة ، بل هو انفعال لطبيعتنا الإرادية التذوقية ولا يعد الفعل ذا قيمة إلا إذا حقق لذة ، كما أن الإحساس بالجمال يعد مكسباً للإنسان فهو لا ينتج عنه أي شر ويعد انعدام "الخير الجمالي" شراً أخلاقياً ، فالجمال خير مطلق يرضى وظيفة طبيعية أو حاجة أو ملكة جوهرية في عقل الإنسان فهو قيمة إيجابية ذاتية ، وبينما تتعلق وظيفة الأخلاق بتجنب الشر والسعي وراء الخير فإن وظيفته لذة من اللذات .. أي أنها وظيفة المتعة^(١).

"الأسس الفلسفية للواقعية الجديدة"

اتخذت الحركة الواقعية عدة اتجاهات أهمها : الاتجاه الواقعي الديني ويطلق عليه أحياناً الواقعية التوماوية نسبة لتوماس الأكويني ، الاتجاه الواقعي الكلاسيكي ويسمى أحياناً بالاتجاه الواقعي الإنساني، والاتجاه الواقعي الحسي الذي يسمى أحياناً بالاتجاه الواقعي العلمي، وهذا يعني أن ذلك المصطلح "الواقعية" يندرج تحته عدة مدارس فكرية مستقلة بعضها عن بعض ، وبالرغم من أن كل الواقعيين يؤكدون على واقعية أو وجود المادة إلا أنهم لا يتفقون على أصل العالم المادي الفيزيقي ،

(1) Ib d , pp. 219-235

- عادل العوا : العمدة في القيم ، مرجع سابق ، ص ص ١٨٠ - ١٨٨ .

- زكي نحيب محمود ، أحمد أمين : قصة الفلسفة الحديثة ، النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

- ريمون روبيه : فلسفة القيم ، ترجمة عادل العوا ، مرجع سابق ، ص ٢٩٢ .

- Munitz . Miltonk : Op. Cit, pp. 64 , 134 .

- So omon Robert : A Short History of Philosophy , Oxford University , NY. 1996 p. 264

فالبعض يرى أنه قد يكون مستقلاً عن الملاحظة ، فمثلاً الواقعية الدينية ترى أن كلاً من المادة والروح خلقا بواسطة الله ، كما أن الروح أكثر جوهرية أو خلوداً من الوجود أو الكينونة .

أما الواقعية الكلاسيكية فتري أنه لا حاجة للتدخل السماوى لتفسير الكون أو الوجود ، كما أنه يؤكد على سيطرة العقل على الوجود المادى ، ومن هنا يتضح التباين والاختلاف بين المدرستين ، فالواقعية الدينية نمطها الأساسى الفلسفة التومية وهى إحدى فلسفات الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، والواقعية الكلاسيكية نمطها الأساسى الفلسفة الواقعية الطبيعية أو العلمية التى انتجت الحركة العلمية المبكرة وخاصة أعمال فرنسيس بيكون ، وفى الوقت الحالى نجد مدرستين واقعتين هما : الواقعية الجديدة ، والتومية الجديدة ، فالواقعية الجديدة محاولة لتطبيق مناهج العلوم الحديثة على القضايا والمشكلات الفلسفية مثل كتابات (برتراند رسل ، وألفريد نورث هوبايتهيد) .. أما التومية الجديدة فقبل ثنائية الإيمان والعقل ، وبعضهم يضيف الإلهام أو الوحي إلى جانب الإيمان والعقل كمصادر للمعرفة تعمل فى انسجام وتناسق (١) .

كما أن العالم الفيزيائى المادى لدى الواقعيين يستقل عن العقل بل ذهب الواقعيون القدامى والتوميون إلى خطوة أبعد من الواقعيين الآخرين .. حيث أكدوا على حقيقة أن المادة والعقل من خالق الله تعالى فى نمط متناسق ومنطقى (٢) .

وعلى الرغم من تلك الاختلافات بين الاتجاهات الواقعية إلا أن هناك ثلاثة أسس فلسفية ثابتة تقوم عليها تلك الاتجاهات وستقوم الدراسة بالتعرض لها فيما يلى :-

أو لا : اكتفاء الوجود بذاته .

ثانياً : البدء بصيرورة الوجود الطبيعى .

ثالثاً : استقلال الطبيعة عن الذات .

الأساس الأول : " اكتفاء الوجود بذاته " :

بعد هذا الأساس من الأسس التى أقرتها الواقعية ، وهذا الأساس يعنى أن الوجود لا يستند إلى مبدأ خارج عنه بل يطلب منه العون والمد ، ويعد ذلك نتيجة طبيعة لاعتقاد الواقعيين بأن الكون مادى أو طبيعى ، وأنه يقف على أرجله وحده .. كما أنه مستقل عن كل ما هو روحى ، بل إنهم يعتبرون تدخل الروح فى المادة اعتداء على استقلالها وإرغام وتحكم مفروض عليها من الخارج ومن ثم فهى ترفض التدخل (٣) إلا أن مبدأ اكتفاء الوجود بذاته ليس قاصراً على الواقعية لأن كثيراً من الاتجاهات المثالية تؤكد هذا المبدأ منهم على سبيل المثال الفيلسوف المعاصر برنشفج حيث أنه رفض سيطرة

(١) محمد منير مرسى : فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها ، مرجع سابق ، ص ٧٥ - ٧٦ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٧٤ - ١٧٦ .

(٣) يحيى هويدى : دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، مرجع سابق ، ص ١٩٥ .

الروح خارجة عن العقل الإنساني ، كما أن الإيمان بوجود روح كهذه يعنى تخلى الإنسان عن حريته واستقلاله، ورغم اتفاق المثالية والواقعية فى عدم الاعتراف بمبدأ روحى يسيطر على الكون إلا أن هنالك فرقاً بينهما فالواقعية عندما ترفض هذا المبدأ تريد استقلال الوجود المادى الواقعى .. أما برنشج فيريد أن يقرر استقلال العقل الإنسانى فى تطوره الباطنى ، كما أنه يستمد أصوله من ذاته (١) .. كما أن سارتر رفض أيضاً هذا المبدأ ومرجع ذلك رغبته فى تأكيد استقلال الوجود البشرى كما يفهمه هو .. إلا أن قول الواقعيين باستقلال المادة لا يعنى أنهم لا يعترفون بدور العقل الإيجابى وتفاعله مع المادية كما أنهم لا ينسون الدور الذى تلعبه الإرادة الحرة فى تشكيل هذه المادة ، كما يرجع سبب رفض الواقعيين لتدخل المبدأ الروحى فى الكون المادى وفى الإنسان باعتبار أنه تدخل غير مشروع يحد من استقلال الكون والإنسان معاً إلى مبالغة رجال الدين المسيحيين وخاصة الكاثوليكى فى فرض سلطة الله على الإنسان والأشياء بطريقة واضحة تجعل الحديث عن حرية الإرادة أمراً فى غاية الصعوبة (٢) .

الأساس الثانى : " البدء بصيرورة الوجود الطبيعى " :

تعد الذات أو الشعور نقطة البداية لدى جميع المذاهب المثالية ، فالذات ليست هى المسئولة فقط عن إدراك أو معرفة الأشياء بل عن وجودها أيضاً ، فالذات هى النافذة التى يطل من خلالها الفرد على العالم ، كما أنها المركز الذى نبدأ منه لكى نصل للوجود ، وهذا يعنى أن الذات هى نقطة ابدية والنهائية لدى المثاليين وهم بذلك قد ضلوا كثيراً فى متاهات الذات واتخذوا منها مداد فكرهم ونسوا وتناولوا الوجود الواقعى الطبيعى ، وعندما فكروا فيه قدموا صورة خيالية له هى " الصورة المعنوية" التى توجد فى عالم المثل وهى تختلف بلا شك عن الصورة الحقيقية له التى تتمثل فى "صورته الواقعية" (٣) لذلك بدأ الواقعيون بداية أخرى فقد اتخذوا من العالم الطبيعى نقطة بداية لهم ومرجع ذلك فى تدوير الكون على نحو مستقل عن العقل أو الذات العارفة أو الإحساس الذاتى وهذا يعنى أن الطبيعة الكلاسيكية الساكنة فى صورتها الجامدة لم تكن موضوع اهتمام الواقعيين بل الطبيعة الديناميكية المتحركة لأن صيرورة الكون تعنى أن به فاعلية أصلية تجعله يملك حق تطوره فى ذاته . وهذا يعنى أن نقطة البدء فى التفكير الواقعى بوجه عام ليست الذات العارفة ، وليست الصيرورة الموجهة التى يسيطر عليها وجود المطلق الباطن فيها وليست الصيرورة الخاضعة لمجموعة من الأفكار العقلية والإطارات الذهنية

(١) The Encyclopedea of Philosophy, Op. Cit. P.80

(٢)Ibic . P.79

(٣) يحيى هويدى : دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، مرجع سابق ، ص ص ١٩٧ - ١٩٩

الشكلية بل الكون الطبيعي في صورته الأصلية ^(١) ، ومما سبق يتضح أن الواقعي يرفض خدسوع العالم للذات ، وهذا لا يعنى أن تكون الذات سلبية بل إن نشاطها موجه إلى المعرفة الموضوعية ، وهذا يعد هجوماً على المثالية حيث يقول بيرى "أن الأخطاء الكبرى التى خانت بها المثالية الإنسانية: هى افتراض أن الذات فى كافة نواحيها تعطى المعرفة أكثر ركانزها رسوخاً " ^(٢) .

الأساس الثالث : " استقلال الطبيعة عن الذات " :

إذا كانت المثالية أرجعت العالم إلى الإحساسات الذاتية ويتضح ذلك من خلال القول بأن لا وجود للموضوع بدون الذات المدركة ولا وجود لشيء فى استقلاله عن العقل مما يترتب عليه القول بأن الفلسفات المثالية انعزالية تقوم على الأنانية . فقد أدرك الفلاسفة الواقعيون هذه الأخطاء وأرادوا تفنيدها حيث أنهم ينظرون إلى الأشياء المادية ، بل إلى الطبيعة بوجه عام ، نظرة مغايرة لنظر المثاليين: فهم ينظرون للطبيعة على أن لها وجوداً مستقلاً عن الذات فالأشياء المادية عند الواقعيين ليست مقيدة بهجولة الذات . ورغم اتفاق الواقعيين حول استقلال الطبيعة عن الذات إلا أن هناك تصورات كثيرة بهذا الاستقلال ، فمثلاً الواقعية المادية الماركسية ألغت الثنائية القائمة بين الذات والمادة وأبقت على لمادة باعتبارها الوجود الوحيد أو الحقيقة الوحيدة ، أما الذات أو التفكير فهو مجرد مظهر من مظاهر هذه المادة . إلا أن هذا الرأى تعرض للنقد من الواقعيين سواء الماركسيين أو غيرهم لأن استقلال الطبيعة عن الذات لا يعنى أن خضوع الذات للطبيعة " خضوع سلبي " وهذا يعنى أن استقلال الذات عن الطبيعة لا يعنى خضوع أحدهما للآخر بل وجود علاقة بينهما بحيث يحتفظ كل منهما باستقلاله ذاتى وقد لجأ الواقعيون إلى طريقة أخرى لتأكيد استقلال الطبيعة عن الذات ، فقد ذهبوا إلى القول بأننا عندما ندرك الأشياء المادية لا ندركها وحدها بل ندرك معها العلاقات التى تصل بينها فى الواقع وهذا يعنى أن إدراك مجموعة العلاقات التى تربط بينها لا يتوقف على العقل .. أى أن العقل ليس هو المسئول عن إيجاد تلك الروابط على نحو ما يرى المثاليون ، بل إن لتلك العلاقات وجوداً خارجياً موضوعياً . فى مقابل وجودها الداخلى أو العقلى ويترتب على ذلك تدعيم استقلال الطبيعة عن العقل ^(٣) وهذا يعنى أن الواقعيين يرفضون أن تكون خبرتنا أو فكرتنا عن الشئ مختلفة عن الشئ ذاته بل هما نفس الشئ ، وهذا يعنى أن الواقعيين الجدد يرون أن وجود وطبيعة الكائنات ليس مشروطاً بمعرفتها لذلك حملوا اللواء القول باستقلال الطبيعة وبالتالي ترك الأشياء تعبر عن نفسها .

(١) R.B. Perry : Realism of Value, A Critique of Human Civilization, Op . Cit , PP. 448 – 459.

(٢) يحيى هويدى : دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، مرجع سابق ، ص ص ٢٠٥ – ٢١٠ .

(٣) المرجع السابق: ص ٢١٠ ← ٢١٦ .

فالواقع مستقل عن نوع الأفكار التي يمكن أن يتشكل منها .^(١) تلك هي أهم الأسس الفلسفية التي تقوم عليها الواقعية الفلسفية وعلى الرغم من وجود تلك الأسس التي تعد نقاط اتفاق بين الواقعيين الجدد إلا أن هناك بعض نقاط الاختلاف بينهم .. حيث أنه في حقيقة الأمر يعد انضمام الواقعيين الستة لتلك الحركة يرجع لأسباب مختلفة ، وكما يقول "مونتاجيو" (لم تكن آراؤنا تتفق دائماً في الميتافيزيقا ولا في بعض جوانب نظرية المعرفة وأيضاً لسنا على اتفاق فيما يتعلق بأى الاختلافات أكثر أهمية ولا كيف ينبغي إيضاها)^(٢) وعن التعاون الذي تم بينهم في العمل بدلاً من أن يعمل كل بمفرده يقول "مونتاجيو" لست على يقين من أن هذه الفكرة قد اتبعت بدقة^(٣) ونتج عن هذه الاختلافات وغيرها انقسام الواقعية الجديدة إلى جناحين: اليمين وتزعّمه مونتاجيو واليسار وتزعّمه بيرى وهولت^(٤) كما حدد مونتاجيو نقاط الاختلاف بينه وبين زملائه في مسألتين رئيسيتين هما : -

الأولى : تتعلق بطبيعة الوعي ، الشعور ، السلوكية .

والثانية : هي مشكلة الخطأ أو ما يطلق عليه اسم " النسبية الموضوعية للأشياء " التي تكون مصدر الخطأ^(٥) ، هذه الخلافات بالإضافة إلى غيرها نتج عنها تصدع جماعة الواقعية الجديدة ، ومما هو جدير بالذكر أنه على الرغم من تلك الاختلافات والجدل بين هؤلاء الواقعيين إلا أنه نتج عنه مزايا كثيرة منها على سبيل المثال : التأكيد على وجود عالم مادي مستقل عن العقول التي تسكنه وتستخدمه وهو ما عرف لديهم " باستقلال الطبيعة عن الذات " ، كما أن الحركة الواقعية الجديدة قدمت للفلسفة الأمريكية بيئة مناسبة لنمو الفلسفة وتقويتها حيث أنه قبل الواقعية الجديدة كانت الفلسفة الأكاديمية بعيدة كل البعد عن الرجل العادي وكذلك لا صلة لها بالعلم أو الدين ، وهذا يعني أن الواقعية الجديدة بمدرستها دلت على قول مونتاجيو (بعث للفلسفة الأمريكية)^(٦) وهذا يعني أن الفكر الواقعي مسيطر على الفكر الأمريكي بل امتد إلى حركة متعددة داخلية

(^١) R B.Perry: **F. Rob Royce's Refutation of Realism and Puluralism the Monist** , 1901 , P. 450.

نقلا عن - احمد عبد الحليم عطيه : القيم في الواقعية الجديدة عند رالف بارتون بيرى ، مرجع سابق ص ص ٢٥ - ٣٢

(^٢) W P Montaque: **Story of . Ibid** . P. 432 – 433.

(^٣) Ibid, P. 422.

(^٤) The Encyclobedia of Philosophy, Op Cit. P.80

(^٥)Ibid. 80

(^٦) Ibid , P. 81.

الخصائص العامة للفكر الواقعي:

- رغم الاختلافات التي وجدت بين الاتجاهات الواقعية على اختلاف أنواعها إلا أن هناك مبادئ عامة يتسم بها الفكر الواقعي ويقرها جميع فلاسفة الواقعية ، وفيما يلي عرض موجز لتلك الخصائص:-
- ١- استبعاد كل ميتافيزيقا ثنائية ، فمن المستحيل الإقرار بوجود عالم علوى ، بل الموجود الحقيقي هو العالم المادى المحسوس (١) .
 - ٢- رفض الحديث عن ألوهية "خارج الزمان" أو عن عالم علوى مفارق أو منعزل عن المكان
 - ٣- نظام الكون محكوم بقوانين محددة أى أنه معتمد على ذاته وليس على قوة خارجية أو قوة أعلى منه .
 - ٤- الإنسان جزء من نظام الطبيعة ويمكن أن يتدخل لإجراء تعديلات أو إحداث التغييرات التي نرى .
بمتطلبات هذا ، وذلك باتباعه لمنهج العلم وقوانينه (٢) .
 - ٥- وظيفة الفلسفة المعاصرة فى نظر فيلسوف الواقعية لم تعد مجرد تفسير العالم فقط ، بل تهدف إلى تغييره (٣) ، وبذلك تكون الواقعية على النقيض من المذهب المثالى الذى يعتبر المثل "Ideals" وحدها هى الموجودات الحقيقية وأن كل ما هو مادى محسوس مجرد صور خيالية لما هو مجرد فى عالم المثل (٤) .
 - ٦- معيارية القيم واجتماعيتها بعض الواقعيين ينادون بخلود القيم واستمرارها وعدم تغييرها ، وإسنادها فالمعايير التى يتعلمها التلاميذ مطلقة وثابتة خاصة بالجنس البشرى وهم فى ذلك أقرب للمثاليين ، إلا أن بعض الواقعيين - الطبيعيين - يؤكدون على اجتماعية القيم .. أى أنها نمت فى ظروف المجتمع وتغيراته وبالتالي فهى نسبية متغيرة تختلف باختلاف المجتمعات ، وهذا يعنى أنه يمكن تعديل وتوجيه القيم (٥) .

(١) جورج نيللر : مقدمة فى فلسفة التربية ، ترجمة نظمى لوقا ، مرجع س - ا ب ق ، ص ص ١٤ ، ١٥ .

(٢) Racheach, Milton: **The Nature of Human Value**, The Free Press , New York , 1973, P.5.

(٣) Br ibacher, Jons: **Modern Philosophies of Education**, Op. Cit, P. 34.

نقلاً عن حسان محمد حسان : مرجع سابق ، ص ٧٦

(٤) حسان محمد حسان : وآخرون ، مقدمة فى فلسفات التربية ، مرجع سابق ، ص ٧٦ .

(٥) حسان محمد حسان وآخرون : تيارات فى فلسفة التربية ، مرجع سابق ، ص ٤٥ .

الإنهاتات التى وجةت للواقعية:

رغم وجود جوانب إيجابية فى الفلسفة الواقعية إلا أن هناك جوانب سلبية مما عرضها للنقد من جانب الاتجاهات الأخرى حيث أن الاتجاه الواقعى ركز كل اهتمامه فى العالم الطبيعى المادى واعتبر أن المعرفة العلمية هى فقط المعرفة الجديرة بالدراسة كما ركز على العلوم الطبيعية متناسية أهميتها الإنسانية ، فلأبد للإنسان أن يحرص على ألا يعطى الأهمية القصوى للقيم المادية ويهمل القيم الروحية بل لابد من تحقيق التوازن بين الجانبين وبناءً على ذلك فقد أهمل الواقعيون أهم المشكلات التى اهتم بها الفكر الأدبى فى القرن العشرين مثل (الألم والعذاب ، الأخلاق ، الدين) فهم يرون أنها تعبر عن أمور لا علاقة لها بالفلسفة بل من المخالف للعقل اعتبارها مشكلات فلسفية^(١) ، كما أن هدف الواقعيين مر وراء المعرفة لا يتوقف على الوصول لمبادئها الأولية ، بل من أجل فائدتها فى توجيه الحياة ، كما أنهم دسحوا بالفرد من أجل الجماعة^(٢) .

كما أن قول الواقعية بنسبية القيم وتغيرها ينتج عنه تحطيم المعايير والقيم الثابتة كما يصعب التمييز بين الخير والشر فى حين أن طبيعة الأخلاق أن تكون معيارية عامة مثالية تحدد ما ينبغى أن تكون عليه الأخلاق فهى ليست علماً معيارياً ، كما أن البشرية تحتاج إلى قيم مشتركة ثابتة تهتدى بها فى كل العصور وفى شتى المجتمعات وهذه هى المهمة الأساسية للأخلاق فى صورتها المعيارية امثالية

أما تحول الأخلاق إلى علم وضعى تجريبى يدرس ما هو قائم بالفعل ، أى يهتم بدراسة القيم الموجودة فى الواقع المعاش ليست ميزة يتفاخر بها الواقعيون لأنهم بذلك يطفنون شعلة تضئ الطريق أمام الأخلاق الإنسانية وجعلوها تعيش فى دهاليز المجتمعات ، كما أن تضحية الواقعية بالفرد فى وقابل الجماعة يعنى أن الفرد مجرد دمية يحركها المجتمع ، إلا أن هذا غير صحيح حيث يوجد القادة والزعماء والمفكرون ممن لديهم القدرة على تطوير المجتمع وتغييره ، ومن أوجه الإنهاتات التى يكن أن توجه للواقعيين أيضاً إغفالهم الدور الأخلاقى للدين بوصفه وحيأ إلهياً وليس ظاهرة اجتماعية ، حيث أن الخوف من النار والترغيب فى الجنة له فاعلية قصوى لدى أفراد المجتمع .

(١) إ . م . بونشسكى : انفسلفة المعاصرة فى أوربا ، مرجع سابق ، ص ص ١١٩ - ١٢١ .

(٢) نبيه محمد حموده : الأصول الفلسفية للتربية ، مرجع سابق ، ص ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

الواقعية والتربية

استمدت الحركة الواقعية اسمها من فكرتها الأساسية التي تقوم عليها وهي دراسة الواقع، كما تعد الحركة الواقعية رد فعل ضد الحركة الإنسانية في عصر النهضة فقد انتقدت الواقعية التربية الإنسانية بأنها عقيمة ذات منظور ضيق لأنها اقتصر على دراسات الآداب الكلاسيكية ، كما أن طريقتها لفظية جوفاء.. أى أنها تهتم بالأسلوب دون الاهتمام بالمضمون أو المعنى (١) وبذلك ضاعت القيم العملية للمواد التي يدرسها المتعلمون (٢) وبذلك حاولت الواقعية تلافي تلك العيوب وجاءت بمنظور واسع يهتم بدراسة الجوانب العملية في التربية مؤكدة على أهمية فهم المحتوى واستخدامه في معرفة ودراسة لواقع الإنسان والطبيعي فالتربية بالنسبة لأغلب الواقعيين يجب أن تؤكد القانون الطبيعي الذي يحكم الواقع - عالم المادة وعالم الفكر ، ويؤكد واقع وتناسق كل صور الوجود .. أما بالنسبة للواقعية الدينية فإن المادة والعقل يعتبران من خلق الله ، كما أن المناهج الدراسية لدى الواقعيين تشتمل على الموضوعات الإسلامية والعلمية التي تعتبر أكثر أهمية لإعداد التلاميذ وتربيتهم تربية عملية ، فالواقعيون لا يغفلون قيمة الأفكار ولكنهم يطالبون بتأكيداها عن طريق التجربة الحسية لأن الفكرة والنظرية يجب أن يتفقا مع الوجود الطبيعي الفيزيقي ، لذلك يجب أن نعلم التلاميذ المناهج والأساليب العلمية والتجربة كعمليات عقلانية (٣) . وبذلك يمكن القول بأن الاتجاه الواقعي في الفكر الفلسفي وجد صدى وانعكاسات في مجال التربية وساعد على ذلك ما أحرزه من تقدم في مجال العلوم الطبيعية وما نتج عنه من تقدم وتطور في مجال الصناعة والزراعة وما صاحب ذلك من تغير في القيم ورغبة المربين والعلماء الأوروبيين وجعل العلوم الطبيعية جزءاً أساسياً من المناهج الدراسية وضرورة الاهتمام بالتعليم الفني والتكنولوجي لأنه يعد حق تعليم المستقبل (٤) وبذلك يمكن القول بأن الواقعية كانت بداية الحركة العلمية في التربية التي تهدف لإلمام المتعلمين بأكبر قدر من المعارف يمهد الطريق لنظام اجتماعي جديد (٥) ومن ذلك كله تبلورت (الحركة الواقعية) في التربية في عدة مدارس واتجاهات يمكن توضيحها فيما يلي :-

(١) محمد منير مرسى : فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها ، مرجع سابق ، ص ٧٤ .

- Ozr on, Op. Cit pp. 53 , 61-66

(٢) سعد مرسى أحمد : تطور الفكر التربوي ، عالم الكتب، القاهرة ، ط ١١ ، ١٩٨٧ ، ص ص ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠ .

- Ozr on, Op. Cit pp. 66 - 69 .

(٣) محمد منير مرسى : فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها ، مرجع سابق ، ص ٧٦ .

(٤) حسان محمد حسان وآخرون : مقدمة في فلسفات التربية ، مرجع سابق ، ص ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٥) سعد مرسى أحمد : مرجع سابق ، ص ٤٠٠ .

" الاتجاه الواقعي الكلاسيكي ": ويطلق عليه أحيانا الاتجاه الإنساني .

يعد هذا الاتجاه بداية المدرسة الواقعية لذلك لم يستطع رواده التخلص من تأثير الحركة الإنسانية التي كانت من قبل ومن هذا اتخذ تسميته بالواقعية الإنسانية ، وبذلك اتفق أنصار هذا الاتجاه مع الإنسانيين السابقين عليهم على أهمية دراسة الآداب الكلاسيكية للاستفادة منها في واقع الحياة العملية في المجتمع .

" الاتجاه الواقعي الاجتماعي ":

يدعو أنصار هذا الاتجاه لاعتبار التربية ذات مضمون اجتماعي حيث أنها تأتي نتيجة التلاقح بين الإنسان والأشياء كما أنها تهدف إلى إعداد الإنسان للمستوى الذي يجعله يشعر بالانتماء للجماعة التي ينتمي إليها ويظهر ولائه لها.

" الاتجاه الواقعي الطبيعي ":

جوهر التربية عند أنصار هذا الاتجاه هو إصلاح المجتمع ، وبذلك تكون العلوم الطبيعية لها الأولوية في المناهج الدراسية لأنها الأداة لتحقيق الأهداف القومية للتربية ، وبذلك ظهرت الحركة العملية في التربية التي تعتنى بالعلوم الطبيعية كمادة دراسية وتوجيه النشأة لاتباع الأسلوب العلمي في التفكير لأنه الأسلوب الوحيد لسيطرة الفرد على البيئة ، والإيمان بأن المحتوى أهم من الشكل أو الطريقة التي يتم بها تدريس المواد الدراسية .

" الاتجاه الواقعي الحسي " ويطلق عليه الاتجاه العملي:

تهدف التربية لدى أنصار هذا الاتجاه إلى تمكين الإنسان من السيطرة على البيئة الطبيعية من ثم تكمن أهمية دراسة العلوم الطبيعية بالطريقة العلمية لأنها تساعد الفرد على فهم البيئة الطبيعية والاجتماعية المحيطة به ، كما يجب التدريب على ذلك عملياً من خلال التجريب والأنشطة التربوية بدلاً من الاقتصار على الكتب ، حيث أن الطبيعة كتاب مفتوح من واجبنا تعلم كل أسرارها للاستفادة منها ومعرفة قوانينها والسيطرة عليها (١) .

كما تهدف التربية للكشف عن القوانين الطبيعية للإنسان التي تعد بدورها جزءاً من قوانين الطبيعة ، فهي التي تتحكم في تعليمه وحتى يتمكن من تربيته على أساس سليم كما يجب أن تكون أهداف التربية متمشية مع مراحل النمو السيكولوجي الطبيعي ، ومع قدرات ومدرات الفرد المتعلم ، كما يجب تنظيم السلم التعليمي على هذا الأساس ، كما يجب أيضاً أن تستغل التربية الحواس وسيلة ومصدراً للمعرفة

أنظر:

(١) حسان محمد حسان وآخرون : مقدمة في فلسفات التربية ، مرجع سابق ، ص ٧٩ .

سعد مرسى أحمد: تطور الفكر التربوي، مرجع سابق ، ص ص ٣٩٩-٤٢٤ .

محمد منير مرسى : فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها ، مرجع سابق ، ص ص ١٧٥ - ١٧٩ .

وأن تعمل على تنميتها من خلال التعلم عن طريق الأنشطة التربوية والتجارب العملية - اللعب - العمل - النشاط - التمارين ، وذلك يفسر سر تسمية هذا الاتجاه بالاتجاه الحسى.

كما يجب أن تكون اللغة الوطنية هى لغة التعليم ويجب تعلمها قبل اللغات القديمة - اللاتينية ، اليونانية وغيرها (١) ، وقد تبلور الاتجاه الواقعى فى العصر الحاضر فى أمريكا فى مجموعتين : الأولى يطلق عليها الواقعية الجديدة وقد تزعمها " رالف برتن بيرى " والمجموعة الثانية : ويطلق عليها الواقعية النقدية وقد تزعمها " جورج سانتيانا " (٢).

إلا أنه يجب أن يكون واضحاً لدى الباحثين أنه لا توجد فواصل حادة بين كافة الاتجاهات الواقعية أو الفلاسفة الواقعيين ، كما لا يوجد أيضاً فيلسوف واقعى بدرجة مائة فى المائة .. إلا أنه يمكن القول أن هذا الفيلسوف تغلب عليه النزعة الواقعية الحديثة أو الدينية ، وترى الواقعية النقدية إمكانية التوفيق بين بعض الأفكار والمفاهيم المثالية مع المثالية الواقعية (٣) .

المبادئ العامة للتربية فى الفكر الواقعى

رغم وجود اختلاف بين الواقعيين إلا أن هناك مبادئ عامة للتربية فى الفكر الواقعى تتمثل فيما

يلى:-

- ١- كان الواقعيون أكثر اهتماماً بالعلوم الطبيعية من المثاليين .
- ٢- اهتم الواقعيون بتشجيع المدارس العملية والمهنية والتطبيقية واتضح ذلك فى القرن السابع عشر بتشجيعه للمدارس العملية الإنجليزية وخاصة تلك المدارس التى أنشأت لأبناء الفقراء المعدمين ، كما هو واضح الآن عند جميع الواقعيين .
- ٣- الاهتمام بالأنشطة والممارسات العملية داخل مؤسسات التعليم فقد اعتمد الواقعيون على لعقل والحس معاً ، ومن ثم كان لابد من الاعتماد على الملاحظة والاستقراء والتجريب لذلك يعد الواقعيون اصحاب أكثر الاتجاهات تشجيعاً للمنهج التجريبي ، وذلك على عكس المثاليين الذين يعتمدون على العقل والحدس بكل ما فيهما من فطرية وأولية وخلود وثبات فكل هذه الأمور لا يصلح معها تجريب أو أنشطة .

أنظر:

- (١) محمد منير مرسى : فلسفة التربية واتجاهاتها ومدارسها ، مرجع سابق ، ص ص ١٧٨ ، ١٧٩ .
- سعد مرسى أحمد: تطور الفكر التربوى ، مرجع سابق ، ص ٤٠٧ .
- نبیه محمد حموده : الأصول الفلسفية للتربية ، مرجع سابق ، ص ص ١٨٦ - ١٨٩ .
- (٢) يحيى هويدى : دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩ .
- (٣) حسان محمد حسان وآخرون: مقدمة فى فلسفات التربية ، مرجع سابق ، ص ٨٠ .

- ٤ - الاهتمام باللغات القومية أو الوطنية والانصراف عن اللغات اليونانية واللاتينية - القديمة - وذلك لأن الواقعيين كانوا أكثر ارتباطاً بالواقع ومتطلباته والمجتمع وحاجاته^(١) .
- ٥ - زاد اهتمام التيار الواقعي بالعلوم البيولوجية والنفسية والاجتماعية وقد كانت بدايته التربوية مستمدة من البيولوجيا لذلك زاد تركيزه على الغرائز ومطالب الجسم والنمو بمراحله ومجالاته المختلفة ، ومن ثم ربط الواقعيون بين التعليم ومراحل النمو وبالأعمار والسنوات وبذلك وجد اختلاف نسبي بين المثاليين والواقعيين لأن المثاليين كانوا أكثر تركيزاً على النمو العقلي والهدس وهما لا يرتبطان إلى حد ما بمطالب الجسم واحتياجاته المادية^(٢) .
- ٦ - يؤكد الواقعيون على قيمة الدراسات المباشرة للإنسان والأشياء ، أى أنهم يهتمون بالخبرة الواقعية حيث أنها تعطي للإنسان خبرة حقيقية بكل جوانب الحياة .
- ٧ - آمن أنصار التيار الواقعي بوجود قوانين طبيعية للنمو ، وعلى التربية أن تسعى لاكتشاف هذه القوانين من أجل توجيهها والتحكم فيها ، لذلك دعا أنصار هذا التيار للاعتماد على التدريب الشكلي (القائم على الملاحظة والتجريب)^(٣) .
- ٨ - عدم الاقتصاد على الكتب والموسوعات ، فإذا كان المثاليون قد اعتبروا الكتاب المصدر الأساسي للمعرفة فإن الطبيعة ومواقف الحياة لها الأولوية وتعد مركز الصدارة لدى الواقعيين
- ٩ - ضرورة الاهتمام بالتربية الجسمية والانفعالية والاجتماعية وبعد هذا اختلافاً واضحاً عن المثالية التي اهتمت بالعقل والتربية السلفية التي تعتمد على التراث .
- ١٠ - الإهتمام بالتدريب الخلقى دون قمع أو قهر أو إكراه أو تعسف .. حيث أن من أهم الانتقادات التي وجهت للمثالية أنها بالغت في قمع رغبات الإنسان واحتياجاته وذلك على عكس الواقعيين الذين اعترفوا بتلك الرغبات كما عملوا على تنظيمها وتوجيهها لما يتفق مع البيئة ويشبع احتياجات الإنسان بحيث تنظم الحياة الخلقية بطريقة فيها مراعاة للجسم ومطالبه والعقل ومداركه والروح واحتياجاتها ، ويتضح من ذلك أن التربية الواقعية أكدت على ضرورة الاهتمام بالتربية الجسمية والانفعالية والاجتماعية وذلك على عكس معظم المدارس المثالية حيث كان التركيز منصباً على العقل والتربية التراثية أو الفلسفية ، وبناءً على ذلك اهتمت التربية الواقعية بأنواع العلوم والتدريبات والبرامج الرياضية والفنية وهذه البرامج وإن كانت موضوع اهتمام المثاليين إلا أن هذا الاهتمام لم يكن بنفس الدرجة والعمق المتوافر لدى الواقعيين^(٤) .

(١) نبيه محمد حموده : الأصول الفلسفية للتربية ، مرجع سابق ، ص ٨٥ .

(٢) حسان محمد حسان وآخرون : مقدمة في فلسفات التربية ، مرجع سابق ص ص ٩٠ ، ٩١ .

(٣) نبيه محمد حموده : الأصول الفلسفية للتربية ، مرجع سابق ، ص ١٨٦ .

(٤) حسان محمد حسان : مقدمة في فلسفات التربية ، مرجع سابق ص ص ٤٤ - ٤٧ .

التربية الواقعية والقيم :

اتضح مما سبق أن القيم عند دعاة الاتجاه المثالي تنسم بالثبات والإطلاق والخلود والاستمرار، كما أنها مستقلة متسامية في عالم المثل بعيداً عن عالم الواقع، وقد ظل الأمر كذلك منذ أن وضع أفلاطون مثلثه القيمي المعروف (الحق - الخير - الجمال) .. إلا أن التيار الواقعي يكاد يكون على النقيض من التيار المثالي، ونقول يكاد لأن الواقعية في بداية تطورها و خاصة فيما يتعلق بالقيم. قررت بأن القيم خالدة، ومستمرة، عامة، ثابتة .. أى أنها معايير خلقية تحكم سلوك الإنسان، وقد بدأ التلازم الحديث لنظرية القيم منذ أن بدأ كانط ينظر للقانون الأخلاقي على أنه نابع من العقل، فهناك مجموعة من القيم (الله - الحرية) لا يمكن تبريرها عملياً .. إلا أنها تفرض مسبقاً لدواعي عملية. وترتب على رأى كانط أن جعل الحاجات العملية التي تحقق أكبر قدر من المنفعة فوق المفاهيم النظرية للعقل، كما رفض إمكانية وجود ميتافيزيقي للقيم، وبذلك يمكن القول بأن كانط يعد أول من وضع بداية لنظور مبحث القيم في التيارات الفلسفية الرئيسية، ويرى أنصار التيار الواقعي - التجريبيون Empiricists والطبيعيون Naturalists وغيرهم يرون أن القيم موضوعية نستدل عليها عن طريق التجربة والحس، فهي نابعة من الواقع المحسوس وبذلك فالقيم الواقعية رموز نهتم بها ونحدد اتجاهاتنا نحوها، ودعايات القيم هو تحقيق الخير الأعظم لغالبية الناس، أى التي تحقق المنفعة العامة لأكبر عدد من الناس، وهى بذلك تمثل مثلاً علياً ومعايير لضبط وتوجيه السلوك الإنسانى فى المجتمع، فهي ليست مثلاً علياً مطلقة .. أى لا ينبغي أن نحكم على القيم بوجود مثال من (الحق - الخير - الجمال) كما هو الحال عند المثاليين فالحديث عن الخير بوصفه مثلاً لا يعطى مصالحي البشر حديث لا معنى له عند الفيلسوف الواقعي، فالقيمة الحقيقية للفعل ترجع إلى الخير الذى يحققه للمجتمع، وبناءً على ذلك فالقيم نسبية متغيرة، كما أنه يمكن قياسها قياساً علمياً دقيقاً فما يطلق عليه قيمة ليس إلا حقيقة موضوعية قابلة للتقصي والبحث والتحديد كأي موضوع مادي قابل للبحث فى العلوم الطبيعية، وبناءً على ذلك تعد القيم فعلاً اجتماعياً له ضوابطه ومقاييسه ومواقفه العملية .. أى لها مضمون اجتماعي، كما تقوم بتحديد أنماط السلوك المقبولة وغير المقبولة لدى الجماعة، وبذلك أدخل التيار الواقعي القيم ضمن مباحث علم الاجتماع خاصة ما يعرف بعلم الاجتماع القيمي، كما أصدرت قيماً اجتماعية حافزة للإنسان على العمل، كما أنها تولد قيماً أبعد منها وبذلك تصبح أهم وظائف التربية من هذا المنظور هي :

تعليم الأفراد وإكسابهم قيم الواقع الذى يعيشون فيه وتعديل سلوكهم فى ضوء القيم الاجتماعية المرغوب فيها لدى أفراد المجتمع، فالقيم الواقعية متعددة وليست منحصرة فى نماذج ثابتة متوارثة كما هو الحال عند المثاليين، مما دفع بعض الباحثين إلى وضع تصنيفات وتقسيمات يندرج تحتها عدد لا متناهى من القيم يعبر عن أفكار وأفعال الناس ونشاطهم

ومن بين تلك التصنيفات على سبيل المثال لا الحصر ما يلى :

- ١- قيم نظرية .
- ٢- قيم اقتصادية .
- ٣- قيم جمالية
- ٤- قيم اجتماعية.
- ٥- قيم سياسية .
- ٦- قيم دينية

ويرجع القول بنسبية القيم فى العصر الحديث إلى نظرية النسبية عند " أنشتين ١٩٥٥ " ونسبية القيم تعنى أن القيم تختلف باختلاف المجتمعات ومرد ذلك هو اختلاف متغيرات الثقافة والواقع المملى المعاش . حيث أن تلك المتغيرات تضيف دلالات ومعانى مختلفة على تلك القيم مما يجعلها جزءاً من تراث تلك الأمة ، كما أن نسبية القيم تعنى تغير معيار الخير والشر من مجتمع إلى آخر ومن زمن إلى آخر .. أى لا يوجد خير مطلق وبذلك يرد الواقعيون معيار الخير إلى نتائج الفعل ، فما يحقق النفع يعد خيراً وما يحقق الضرر يعد شراً ، والموقف الأخلاقى يرجع إلى عدة عوامل مثل : (تكوينات الطفولة ، تعاليم الدين ، التربية الخلقية الاجتماعية) .. إلا أن القول بنسبية القيم لا ينفى وجود قيم ذات صبغة عالمية وتعد محل قبول واتفاق كافة التيارات الفلسفية الواقعية وغير الواقعية، بل تعد محل تقدير كل أفراد البشر، كما أنها تتخطى حدود الزمان والمكان. تلك هى القيم المتضمنة فى الديانات السماوية بقيمة التكافل ، والتراحم ، التعاون ، الإخاء ، العلم ، وذلك على الرغم من أن الديانات السماوية لا تجد قبولاً من الفلسفات المادية وخاصة فيما يتعلق بالعقيدة.

إذ، الأخلاق فى نظر الواقعيين ليست علماً معيارياً كما هو الحال عند المثاليين، بل هى علم عملي يقيم قواعده الخاصة على قوانين العادات الاجتماعية وعلى الملاحظة والتجربة والمساهمة فى تحقيق التقدم الإنسانى ، فالأتجاه الواقعى فى فلسفة التربية ينظر للقيم نظرة عملية يمكن إخضاعها العلم ومقاييسه ، ومن ثم يمكن تغييرها وتعديلها أو محوها وكسب قيم بديلة فهى متغيرة، ليست ثابتة ، نسبية وليست مطلقة ، اجتماعية لا ميتافيزيقية، ينظر إليها وفقاً لتطور الواقع ومطالبه وللإنسان وحاجاته ، وبهذا يمكن القول بأن عالم القيم عالم إنسانى يوجد فى دنيا الإنسان وحده ، كما أن هذا لا يعنى أن الإنسان هو خالق القيم وإنما توجد ضوابط لهذه القيم (١) ..

إلا أن الإنسان لا يصبح موجوداً أخلاقياً إلا لأنه استطاع أن يعيش فى جماعة ، فبدون الحياة الاجتماعية لا توجد حياة أخلاقية (٢) .

(١) حسان محمد حسان وآخرون : تيارات فى فلسفة التربية ، مكتب التجاربيين ، القاهرة ، (د. ت) ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

حسان محمد حسان وآخرون : مقدمة فى فلسفات التربية ، القاهرة ، بدون ناشر ، ١٩٨٧ ، ص ٨٥ - ٨٨ .

يحي هويدى : دراسات الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، دار الثقافة القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

فؤاد زكريا : الأخلاق والمجتمع ، مكتبة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٩ - ٢٠ .

(٢) زكريا ابراهيم : المشكلة الخلقية ، مرجع سابق ، ص ٨٧ .

مما سبق يمكن استنتاج ما يلي :

- ١- تأكيد الواقعيين على وجود عالم للقيم والأخلاق يتسم بالثبات ، ويتم الوصول إليه عن طريق الاستدلال . بناءً على ذلك تصبح مهمة المدرس غرس الأخلاق والمبادئ الدينية الأساسية في أذهان التلاميذ ^(١) .
- ٢- رغم اتفاق الواقعيين حول موضوعية القيم .. إلا أنهم اختلفوا في تبريرهم للتفكير بتلك الطريقة فبعضهم يرى أنها - القيم - ملزمة للجميع باعتبارها عاقلة وهؤلاء الواقعيون الكلاسيكيون ، أما التوماويون - أتباع توماس الاكوينى - فيرون ان الناس يمكنهم ان يميزوا هذا القانون الاخلاقي باستخدام العقل ، ولكنهم يرون ان قواعد هذا القانون قد ارسيت من قبل الله سبحانه وتعالى اسدى منح الانسان موهبة فهمه ، فالإنسان لا يستطيع ان يفهم القانون الأخلاقي بغير مساعدة الهية لان طبيعته قد فسدت نتيجة خطيئته الاولى كما انه لا يستطيع ممارسة هذه الموهبة بغير نعمة الله عليه ، ولكن الواقعيين العلميين ينكرون أن للقيم قانوناً فوقياً ، والله يهيئ الإنسان بحيث يكون لديه القدرة على التكيف مع البيئة .. وإذا المؤسسات والتقاليد الاجتماعية تختلف فيما بينها اختلافاً بيناً .. إلا أن القيم الاجتماعية التي ينبغي مراعاتها تظل ثابتة غير متغيرة ، ويتفق الواقعيون على أن أى نظام تربوى ينبغي أن يتكيف مع قيم محددة تحديداً دقيقاً ، وبما أن القيم ذاتها لا تتغير لذلك فالأهداف الحقيقية للتربية لا تتغير فالمعايير الأخلاقية التي نعلمها للطفل يجب أن تكون ثابتة ومطلقة ، فمهمة التربية هي تعليم وتدريب الأطفال على العيش وفقاً لمعايير أخلاقية مطلقة على أساس ما يصلح لكل أفراد البشر ، ومن المهم أيضاً أن يكتسب عادات حسنة ذلك لأن الفديلية ليست تلقائية بل يكتسبها الفرد عن طريق التعلم كما يؤكد الواقعيون الطبيعيون على ضرورة تعلم القيم التي يوضح البحث العملى مدى أهميتها ونفعها للإنسان ، فالصواب والخطأ لا ينبعان من مبادئ الدين بل من فهم الإنسان للطبيعة ^(٢) .

التربية الواقعية والأهداف .

على الرغم من إجماع فلاسفة التربية الواقعية على بعض الأهداف إلا أنه ظهرت لدى كل منهم أهداف خاصة كانت تعبيراً عن طبيعة عصره والظروف الاجتماعية المحيطة به ، وعلى سبيل المثال المذهب الإنسانى الواقعى اتخذ "رغبات وميول الإنسان موضوعاً له" ، وكان هدف الإنسانيين الواقعيون السيطرة التامة على جميع جوانب الحياة اجتماعياً وطبيعياً عن طريق الاطلاع على حياة القدماء على

(١) محمد منير مرسى : فلسفة التربية واتجاهاتها ومدارسها ، مرجع سابق ، ص ١٧٦ .

(٢) المرجع السابق : ص ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

نطاق واسع (١) .. أما الواقعية الحسية التي تعد بداية الحركة العلمية في التربية كما أنها اتخذت " الطبيعة ومظاهرها بدلاً من الكتب موضوعاً لها " فكانت تهدف لإلمام المتعلمين بكل المعارف ذلك تمهيداً للقيام بنظام اجتماعي جديد (٢) ، كما تهدف لتحويل العلم إلى منفعة للبشرية ، وتهدف أيضاً لتطوير طريقة الاستقراء في البحث لتساعد الإنسان على إخضاع الطبيعة لإرادته والسيطرة عليها ، هذا يعني أن هدف الواقعية الحسية هو إعادة تربية الإنسان بطريقة علمية ، فقد أكدت الواقعية الحسية على ضرورة التربية الجسمية والخلقية (٣) وتتمثل الأهداف العامة للتربية الواقعية فيما يلي :-

١ - تنمية جوانب الشخصية الإنسانية وتكاملها :

فتهدف التربية الواقعية إلى تنمية جوانب الشخصية الإنسانية ، فعمل التربية لا يقتصر على جانب دون الآخر بل تتجه إلى تنمية الجوانب العقلية ، البدنية ، النفسية ، الأخلاقية ، والاجتماعية في وقت واحد ، فإذا كانت التربية المثالية ترى أن " تنمية العقل والخلق هي الهدف الأكبر فمن الطبيعي أن يكون هدف التربية الواقعية مستنداً إلى نظرتها التكاملية للطبيعة الإنسانية والعلاقة بين الإنسان والوجود ، فالتربية مسئولة عن تحقيق هذا التكامل من خلال برامج وأساليب تربوية متنوعة تشمل تنمية وتهذيب الجسم والعقل والخلق بجانب شرح الواقع ومشكلاته ، لذلك تهدف التربية إلى التدريب على استخدام المنهج الاستقرائي التجريبي بحيث يستطيع تنظيمه ، ويتصور الفيلسوف الواقعي نموذجاً متكامل فيه الشخصية وتهدف إلى السيطرة التامة على جميع جوانب الحياة المحيطة به طبيعياً واجتماعياً وعلى التربية أن تسعى إلى بلوغ هذا النموذج (٤) ، هذا وقد رأى أحد فلاسفة الواقعية هذا النموذج في "الجنتمان" .. أي الرجل المهذب الكامل الذي يتصف بصفات الفضيلة وحب الحقيقة والتضحية بالذات ، وضبط النفس ، ومقاومة الشهوات ، والاتجاه الإيجابي نحو الآخرين ، والقدرة على التصرف الحكيم تجاه مشكلات الحياة ، ويرى "روسو" هذه الصفات جديرة بأن تتحقق بالنسبة للأفراد الذين يقيمون حياتهم على التوازن بين أنفسهم وبين الآخرين .. أي لا يكون الفرد أنانياً ولا يضحى بنفسه من أجل الآخرين (٥) ،

(١) Br ibecher, J.S: A History of Egypt , Scribener , New York, 1912 , P. 109, 110.

(٢) U C Cormich, P.J. History of Education . The Catholic education Press, Washington, D.C. 1949 P. 435.

(٣) Itid ,P P. 468 – 470.

نقلاً عن - حسان محمد حسان وآخرون : مقدمة في فلسفة التربية ، مرجع سابق ، ص ص ٧٩-٨٠ .

أنظر:

(٤) حسان محمد حسان وآخرون : مقدمة في فلسفة التربية ، مرجع سابق ، ص ٩١.

حسان محمد حسان وآخرون : تيارات في فلسفة التربية ، ص ٨٨.

سعد مرسى احمد : تطور الفكر التربوي ، مرجع سابق ، ص ٣٩٩.

(٥) المرجع السابق : ص ص ٤١٨ ، ٤١٩ .

ويرى فيلسوف آخر أن نموذج الشخصية المتكامل الذي تسعى التربية إلى تحقيقه يهدف لتحقيق أربع سمات لهذه الشخصية هي :

- **الحبوية** : وتعنى الصحة الجيدة ، فهدف التربية هو تزويد الطالب بمعلومة عن الصحة وشروطها العامة .
- **الشجاعة** : وهى تعبر عن ثقة الفرد بأفكاره ومشاعره واعتزازه بهما، ولكى تحقق التربية هذه السمة تعلم التلميذ أن يتعامل مع الآخرين كفريق عمل رياضى . لا نعلمه التعالى على الآخرين ، ويعد الحب أحد دعائم الشجاعة. وأول درجة من درجاته حب الوالدين ، ثم حب الوطن ، ثم ينسج ليشمل البشرية كلها .
- **الحساسية** : ويعنى بها تفاعل الفرد واستجابته للأحداث المحيطة به فى العالم ، والتربية وينبغى أن تغرس فى التلميذ معايير السلوك المقننة والقيم التى اتفق عليها المجتمع . وأن تنمى حساسيته تجاهها وتجاه ما يحدث فى العالم ، وذلك من خلال تزويده بالمعارف والأفكار العامة .
- **الذكاء** : ويعنى به المعلومات والمعارف ومدى قدرة الفرد على استيعابها، ويرتبط بتنمية الذكاء مجموعة من الفضائل مثل حب الاستطلاع ، حب المعرفة ، العقل المتفتح^(١) .

٢- فهم الواقع المحيط بالتلميذ والارتقاء به :

هناك هدف تربوى آخر يكاد يجمع عليه فلاسفة الواقعية وهو يرتبط بالهدف الأول، ويتمثل هذا الهدف فى " فهم الواقع المحيط بالتلميذ والارتقاء به" حيث لم يعد الهدف التربوى مقتصرأ على تنمية شخصية الإنسان وتعديل سلوكه ككائن فرد بل ينظر للإنسان كشخصية متفاعلة مع الواقع الاجتماعى الذى تعيش فيه وبالتالي لديه القدرة على فهم واقع مجتمعه وبالتالي إيجاد الحلول المناسبة لمشكلاته وتعديل أوضاعه بطريقة فعالة وموضوعية، والتربية الواقعية تسعى لتحقيق هذا الهدف من خلال إعداد إنسان لديه القدرة على إتقان عمل مناسب له ولديه القدرة على القيام بالأدوار الاجتماعية المحددة له فى المجتمع، ويتمكن من استغلال وقت الفراغ بطريقة سليمة، كما يسعى إلى إقامة علاقات اجتماعية ديدة مع الآخرين، أى مشاركتهم على قدر إمكانياته فى الحياة الاجتماعية^(٢) وبذلك يرى الواقعيون ضرورة أن تعمل التربية على تحقيق أغراض عملية نفعية بدلاً من أن تكون وسيلة لحشو الذهن بمتطلبات ومعلومات لا صلة لها بالحياة الواقعية المعاشة فالهدف الذى يجب أن تسعى إليه التربية هو أن يتمكن الإنسان من فهم أسرار الطبيعة وتسخيرها لتحقيق الخير والتقدم للبشرية، وبناءً على ذلك يتضح البعد الاجتماعى للتربية لدى أنصار الاتجاه الواقعى فقد دعا - أحد الفلاسفة الواقعيين - الشباب للقيام برحلات

(١) زكى نجيب محمود ، أحمد أمين : قصة الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ، ص ص ٣٩٢-٣٩٦ .

(٢) سعد مرسى أحمد : تطور الفكر التربوى ، مرجع سابق ، ص ص ٣٩٩ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ .

وكثرة الأسفار لما لها من أثر على الارتفاع بالمستوى العقلي كما تزيد من تجاربه ومعرفته بالأجاس والشعوب الأخرى كما يتحقق هذا الهدف أيضاً عن طريق مساعدة الفرد على فهم العمليات الاجتماعية والسياسية، وإعداده لمزاولة الأدوار الاجتماعية التي سيقوم بها في حياته المستقبلية - الزوجية - الأبوية والأمومة الصالحة والإستغلال الأمثل لأوقات الفراغ^(١).

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن أهداف التربية الواقعية تتسم بالمرونة والتعدد لأنها مشتقة من الواقع الثقافي والاجتماعي المحيط بالتلميذ ، وهذا يعني أن الأهداف ليست مجرد مثل عليا وقيم ثابتة يراد تحقيقها في تربية التلميذ ، بل هي مجموعة من الحاجات والمطالب الاجتماعية تعكسها التربية في عملها وبدلاً من التركيز على التلميذ كمحور للعمل التربوي فالتربية الواقعية تنقل هذا التركيز إلى الدائرة الاجتماعية ككل حتى ينمو التلميذ في سياق الحياة الواقعية ويتمكن من إقامة علاقات وتفاعلات اجتماعية سليمة مع الأسرة وزملاء العمل وكافة المؤسسات التي يتعامل معها^(٢) ، كما انه من الضروري التماثل مع مشكلات التعليم بطريقة موضوعية وذلك للوصول للأسباب والعوامل التي أنتجتها وكذلك معرفة صلة هذه المشكلات بالواقع الاجتماعي والثقافي التي تنشأ فيه ثم ايداع الأساليب المناسبة لعلاج تلك المشكلات وتنفيذها ومتابعتها^(٣) وبما أن العصر الذي نعيش فيه هو عصر العلم فيمكن وصفه بأنه عصر سيادة الفلسفات الواقعية ، وتراجع الفلسفات المثالية فأي مجتمع في حاجة إلى فلسفة عملية تربوية توجه تفكيره الاجتماعي وتقدم حلولاً وبرامج اجتماعية لمشكلاته الأساسية وتوجه أبحاثه في سائر ميادين المعرفة وجهة واحدة منسقة ويحتاج في ميدان التربية لتلك الفلسفة الاجتماعية العملية لتوجيه العملية التربوية ، وتوجيه مجهودات المربين في الميدان التربوي .. وإذا كان لكل عصر فلسفته الخاصة التي تعبر عن تصورات وتفكير البشر في كل نواحي الحياة ولا سيما في ميدان التربية، فإن فلسفة التربية الواقعية تعد الفلسفة المعبرة عن عصرنا الراهن والقادم حيث أنها تشغل بعدد من القضايا التي تتصل بتربية الإنسان في مطلع القرن الحادي والعشرين^(٤) ومن هذه القضايا على سبيل المثال ما يلي :

- ربط الأيدولوجيا الاجتماعية بالتربية
- ربط التربية بالحياة الاجتماعية والاقتصادية.

(1) Ozinon Op. Cit. PP 50-61

(٢) حسان محمد حسان : مقدمة في فلسفات التربية ، مرجع سابق ، ص ٩٤ .

(٣) المرجع السابق : ص ٧٧ .

(٤) سعد مرسى أحمد : تطور الفكر التربوي ، مرجع سابق ، ص ٥٨٤ ← ٥٨٧ .

النظرة المتكاملة للشخصية الإنسانية : نفسياً ، جسمياً ، عقلياً ، وما يترتب على ذلك من تنظيم للمنهج بحيث يستطيع تحقيق ذلك التكامل (١) .

- توسيع نطاق المؤسسات التي تباشر مسؤولية التربية والتعليم في إطار ما يعرف الآن " بالتعليم المستمر " وهو ما يطلق عليه أيضاً التربية المستديمة أو التعليم مدى الحياة .. أى المجتمع المعلم المتعلم ويعتبر هذا المفهوم من أبرز المنطلقات التي ركزت عليها الاستراتيجيات التي نادت، بها اليونسكو العالمية .. إلا أننا نجد جذور التربية المستمرة في الدين الإسلامي : فالآية الكريمة " وقل رب زدني علماً " (٢) تحمل هذا المعنى (٣) .
- استحداث طرق جديدة في البحث العلمى إنطلاقاً من الطريقة التجريبية مع الاعتماد على أساليب قياس حديثة (٤)

وبناءً على ما سبق أصبح من الواضح مدى احتياج الواقع التعليمى إلى تحقيق تلك الأهداف فى العملية التعليمية حتى تستطيع التربية تنشئة مواطن صالح لديه القدرة على مواجهة تحديات القرون الحادى والعشرين يجمع بين الأصالة والمعاصرة فى آن واحد .

(١) حسان محمد حسان وآخرون، مقدمة فى فلسفة التربية ، مرجع سابق ، ص ٩٩ .

(٢) سورة طه : آية ، ١١٤

(٣) عبد الله عبد الدايم : الثورة التكنولوجية فى التربية العربية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٤) الفين توفلر : صدمة المستقبل ، التغيرات فى عالم الغد ، ترجمة محمد على ناصف ، نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ٤٢٨ .

خاتمة الفصل :

استهدف هذا الفصل دراسة القيم فى الواقعية الجديدة وعلاقتها بالتربية وأهدافها .. حيث أن التربية الواقعية تهدف إلى تنمية جوانب الشخصية الإنسانية وتكاملها وذلك من خلال الاعتماد على أساليب تربوية متنوعة بحيث تمكن الفرد من التكيف مع البيئة الاجتماعية المحيطة به والقدرة على حل المشكلات التى يتعرض لها فى المواقف المختلفة فى الحياة .. أى تكون لديه القدرة على أن يحيا مع الآخرين حياة صحيحة يسودها التفاهم والحب والتعاون، وقد استطاعت الدراسة تحقيق تلك الأهداف، عن طريق التعرض للقيم فى فلسفة التربية الواقعية الجديدة وذلك من خلال عدة محاور أساسية تمثلت فيما يلى :-

- تعريف الواقعية الجديدة .
- نشأتها وتطورها .
- رواد الواقعية الجديدة فى إنجلترا وأمريكا .
- التعرض للقيم المتضمنة فى آرائهم الفلسفية .
- القيم فى الواقعية الجديدة .
- الأسس الفلسفية للواقعية .
- الأهداف العامة للتربية الواقعية

وقد اتضح فى هذا الفصل كيف أن فلاسفة الواقعية الجديدة قد اهتموا بالتربية والعملية التعليمية، وبعد الإشارة إلى القيم فى فلسفة التربية الواقعية فلكى تكتمل جوانب الدراسة لابد من تناول القيم فى واحدة من أهم الفلسفات التربوية المعاصرة .. ألا وهى " فلسفة التربية الوجودية " . وسيتم تناول تلك الفلسفة فى الفصل الخامس ، إن شاء الله .